الفصل الخامس

الدولة الأموية

(٤١ - ١٣٢ هـ) / (٦٦٢ - ٧٥٠ م)

تنسب الـدولة الأموية إلى **أمية بن عبد شمس بن عبد مناف** (وكان سيدا من سادات قريش في الجاهلية) . وكان كثير من أشراف بنو أمية متأخرين في دخول الإسلام ، ومنهم **أبو سفيان بن حرب** (رأس غزوة الأحزاب أيام النبي ﷺ) الذي أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ولكن بعد إسلامهم أبلوا في خدمة الدين بلاءً حسنا ، وكان لهم دور كبير في حروب الردة ونشر الإسلام خارج الجزيرة العربية . واستمرت الدولة الأموية أقل من قرن من الزمان (حوالي ٩٠ سنة ميلادية في الفترة من عـام ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦٢ - ٧٥٠ م) . وأول خلفـائها **معاوية بن أبي سفيان** [١] (وهو الذي تأخر إسلامه حتى يوم فتح مكة) وآخر خلفائها **مروان الثاني بن محمد ، الملقّب بالحمار** .

- **خلافة معاوية بن أبي سفيان** (٤١ - ٦٠ هـ/ ٦٦١- ٦٧٩م) ..

كما رأينا في الفصل الثالث ؛ كان التمهيد لنشأة الدولة الأموية **فتنة شديدة قامت بين رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبى طالب** (ﷺ) **وبين معاوية بن أبي سفيان حين عارض معاوية خلافة علي بن أبى طالب بحجة أن علياً تهاون في الدفاع عن عثمان بن عفان** (ﷺ) وهو ما أدى إلى قتله . وأسفرت هذه الفتنة عن معارك عنيفة بين الجانبين استمرت

---

١ أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ، وكان من الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله (ﷺ) / وكان أبوه ـ أبو سفيان بن حرب ـ زعيماً لقريش ، وقائداً لمن وقف في وجه الدعوة الإسلامية ، وعلى رأس " الأحزاب " التي حاولت غزو المدينة من قبل ، وأمه هند بنت عتبة ، هي التي لاكت كبد حمزة عم الرسول في غزوة " أحد " ..!! وحينما ولي أبو بكر الصديق (ﷺ) الخلافة بعث معاوية مع أخيه يزيد إلى الشام ، ولما مات يزيد استخلف عمر بن الخطاب (ﷺ) معاوية على دمشق . وفي خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) جمع له الديار الشامية كلها ، وجعل ولاة أمصارها تابعين له .

حتى يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ هجرية حين قتل عبد الرحمن بن ملجم (أحد الخوارج) الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب (ﷺ) . وكان من الممكن أن تستمر هذه المحنة طويلاً لولا أن **الحسن بن على** الذي بويع بالخلافة بعد أبيه (ﷺ) تنازل عنها **لمعاوية** حقناً لدماء المسلمين وتوحيداً لكلمتهم .. وكان ذلك في ٢٥ ربيع الأول **عام ٤١ للهجرة** (٦٢١ م) الذي سمى بـــ " **عام الجماعة** " .. وهو يعد البدء الحقيقي للدولة الأموية **التي بدأت بالتحديد حين أخذت البيعة لمعاوية بن أبي سفيان في حضور الحسن** [٢] **والحسين رضى الله عنهما في يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هجريا .**

وكان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية على أساس أن تعود الخلافة من بعده شورى بين المسلمين (ولكن معاوية لم يلتزم بهذا العهد وورثها لابنه يزيد من بعده) . ولما قدم الحسن إلى " **الكوفة** " [٣] ــ بعد البيعة ــ قابله سيل من التعنيف واللوم لتنازله عن الخلافة ، لكنه كان بارًا راشدًا لا يجد فى صدره من هذا الأمر حرجًا أو ندمًا ، فقد قال له رجل اسمه عامر : السلام عليك يا مذل المؤمنين . قال : لا تقل هذا يا عامر ، لست بمذل المؤمنين ، ولكنى كرهت أن أقاتلهم على الملك . وتحققت نبوءة النبي (ﷺ) فى الحسن يوم قال : " **إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** " . [رواه أحمد والبخارى وأبو داود ، والترمذى والنسائى]

وهكذا ؛ انتقلت الخلافة الإسلامية إلى بني أمية عن طريق **معاوية بن أبي سفيان** الذي ادعى حقه فيها في بادئ الأمر ، بدعوى أنه ابن عم الخليفة عثمان بن عفان وهو صاحب الحق في المطالبة بدمه ، **وهي دعوى لا تجعل له حقا في الخلافة** ، غير أنه استطاع ــ بدهائه وسخائه وبالظروف التي أدت إلى قتل علي بن أبي طالب (وحكمة الحسن بن علي في عدم الرغبة في مصاولته وإخضاعه) ــ أن ينال الخلافة وينقلها إلى بني أمية .

---

٢ مات الحسن بن علىّ بن أبي طالب سنة (٤٩ هـــ / ٦٦٩ م.) أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان عن سبع وأربعين سنة .. وتذكر بعض كتب السيرة أن الحسن مات مسموما بتدبير من معاوية بن إبي سفيان بعد أن دست له " جعدة بنت الأشعث " السم في شرابه ..!!! وبقى الحسين بن علىّ الذي قتل في " كربـــلاء / العراق " في عهد ابنه يزيد ابن معاوية سنة ٦١ للهجرة (٦٨١ م) .

٣ مدينة الكوفة تقع على نهر الفرات جنوب مدينة بغداد .. وقد بنـــاها سعد بن أبي وقاص عام ١٧ من الهجرة (٦٣٩ م) .

ومعاوية هو الحاكم الذي قال : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا . وقارن نفسه مع أبي بكر وعمر فقال : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن ..!!!

ويقول المفكر الإسلامي **سيد قطب** (في كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص : ١٧٢) : **لما جاء معاوية صير الخلافة الإسلامية ملكا عضوضا في بني أمية ، لم يكن ذلك من وحي الإسلام إنما كان من وحي الجاهلية ، فبني أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها ، وما كان الإسلام إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات .**

وقد استندت الخلافة الأموية على **مذهب الجبر** في تدبير سلطانها ، وهو مذهب يجعل أفعال الإنسان صادرة عن الله تعالى ، فالله هو الذي يخلق أفعال الإنسان ، ويسيره فيها ، وبذلك يكون مجبرا عليها ، فما يصدر عن الإنسان من فعل الخير والشر ، إنما هو من أمر الله . وباستمداد الخليفة سلطته من الله ، أضحى حقه في الحكم (حقا إلهيا) ، وسلطانه مطلقا لا رقيب عليه ، يتصرف على هواه ويعزو تصرفه إلى قدر الله وتسديده . وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خطة الإسلام . فالإسلام لا يسلم بالحكم المطلق ، بل يمنح المؤمنين حق الرقابة على أعمال الحاكم وتصرفاته ، وهذا الحق مستمد من قوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ .. (٧١) ﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ٧١)

وتمنح هذه الرقابة الحق في نقض بيعة الحاكم وعزله إذا خرج على حكم من أحكام الله ، على النحو السابق بيانه في الفصل السابق .

ونعود الآن إلى حكم معاوية ..!!! فعندما أصبح معاوية خليفة للمسلمين ، كانت الدولة الإسلامية تقوم على شبه الجزيرة العربية ، والشام ، والعراق ، ومصر ، وبلاد الجزيرة ، وخراسان . أما الجهات التي وصلت إليها الجيوش الإسلامية فيما وراء تلك البلاد فإنها كانت تفتقر إلى الاستقرار . وكان للفتنة التي حدثت في عهد عثمان ، وما أعقبها من صراع بين عليّ ومعاوية (على الخلافة) أثرهما في توقف حركة الفتوحات الكبرى ، ومتابعة الجهاد في سبيل حماية الإسلام ، وأداء رسالته ، واستكمال بناء الدولة الإسلامية .

ولهذا عمل معاوية بعد أن استتب له أمر الخلافة على تجهيز عدة حملات لشن حرب شاملة ضد " **الإمبراطورية البيزنطية** " و " **الإمبراطورية الفارسية** " لعدائهم الشديد للإسلام [٤] . ولم يتخلف صحابة رسول الله (ﷺ) عن الجهاد فى سبيل الله ، فانضموا إلى هذه الحملة متمثلين أمام أعينهم قول الرسول (ﷺ) :

[.. لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ ..] [٥]

آملين أن يتحقق فيهم قول الرسول (ﷺ) :

[.. أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ ..] [٦]

وهكذا كان صحابة الرسول (رضوان الله عليهم) مشغولين بالجهاد ونشر الدعوة .. بينما كان الصراع على السلطة في غاية من الشراسة بين معاوية وأتباعه .. وبين باقي المسلمين .

اتجهت حملتان من جيوش المسلمين إلى القسطنطينية حتى فتحوا بلادًا عديدة فى آسيا الصغرى وضربوا الحصار عليها .. ولكنهم لم يستطعوا أن يفتحوها ولكن حسبهم أنهم أول جيش يغزو القسطنطينية . وبرغم عجز هاتين الحملتين عن فتح القسطنطينية (أنظر الفصل العاشر) فإنهما حققتا أهدافا واسعة ، فلقد تخلى أباطرة الروم عن مشاريعهم وأحلامهم القديمة فى استعادة مصر والشام ، وغيرهما من الأراضى التى كانت تابعة لهم من قبل ، وعلموا أن جيوش الإسلام باتت قوية ، وراحت تدق أبواب عاصمتهم بعنف .

وتحرك المسلمون شرقا نحو أفغانستان فسقطت " كابول " فى أيديهم سنة ٦٦٤ م وعبروا نهر جيحون ، واستولوا على بخارى سنة ٦٧٤م ، ثم على سمرقند سنة ٦٧٦م ، ثم واصلوا

---

٤ إلى جانب هذا السبب ؛ (ربما) توجد أسباب سياسية أخرى أهمها عمل معاوية على شغل المسلمين بأمور بعيدة عن اغتصابه للخلافة . وكذا أحاديث الرسول (ﷺ) التي تنبأت بكثير من هذه الفتوحات ، والتي فرضت على العالم الإسلامي ــ بطريقة ضمنية ــ حتمية القيام بهذه الحملات .

٥ مسند أحمد ؛ حديث رقم ١٨١٨٩ (كما رواه الحاكم أيضا) ، عن عبد الله بن محمد . موسوعة الحديث الشريف ، الإصدار الأول ١,١ ، شركة صخر لبرامج الحاسب .

٦ صحيح البخاري ؛ حديث رقم ٢٧٠٧ ، عن إسحق بن يزيد . موسوعة الحديث الشريف ، الإصدار الأول ١,١ ، شركة صخر لبرامج الحاسب .

زحفهم حتى نهر سيحون ، وذلك على يد قادة من شباب الإسلام مثل محمد بن القاسم الثقفى وقتيبة بن مسلم الباهلى وغيرهما .

كما انطلقت الفتوحات نحو الميدان الغربى فى البلاد التى تلاصق مصر من جهة الغرب ، وتمتد من " برقة " إلى المحيط الأطلسى ، **وكانت معروفة عند العرب باسم بلاد المغرب ، وكان يسكنها أناس عرفوا باسم البربر** [٧] ، وهم ينتمون فى أصلهم إلى العنصر الليبى القديم الذى يرتبط مع الأصول التى ينتمى إليها المصريون القدماء . وأسند معاوية بن أبى سفيان فتح تلك البلاد سنة (٥٠ هـ) إلى "**عقبة بن نافع الفهري**" ، الذى كان مقيمًا ببرقة منذ أن فتحها عمرو ابن العاص أثناء ولايته الأولى على مصر ، فكان عقبة من أكثر الناس خبرة ودراية بأحوال هذه البلاد . ورأى عقبة أن أفضل الطرق لفتح بلاد المغرب يقتضى إنشاء قاعدة للجيوش العربية فى المنطقة التى عرفها العرب باسم إفريقية ، وهى جمهورية تونس الحالية .

استطاع عقبة تنفيذ مشروعه حين انطلق بجيوشه إلى إفريقية (تونس حاليا) واستولى عليها ، واختار موقعًا يلتقى عنده قبائل البربر من " البرانس " و" البتر " وأقام عليه قاعدته التى سماها " **القيروان** " وشرح عقبة أهدافه من تأسيس القيروان قائلا لجنوده : وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها (أى بأفريقية) مدينة نجعل فيها عسكرًا ، وتكون عز الإسلام إلى أبد الدهر .

وكان عقبة بن نافع صادق الإيمان ، فيروى أنه لما بدأ فى بناء القيروان ، كان مكانها ملتفا بالشجر تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام ، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شىء من ذلك ، حتى إن السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها ، والحيات تخرج هاربة من جحورها ، ولما رأى البربر (سكان المنطقة) ذلك أسلم منهم عدد كبير .

• خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ - ٦٤ هـ/ ٦٧٩- ٦٨٣م) ..

مات معاوية بن أبي سفيان في رجب سنة (٦٠ هـ / ٦٨٠ م) بعد أن أخذ بيعة جبرية لابنه " يزيد " .. وهو يعتبر بذلك أول من خالف قاعدة الشورى في الخلافة بعد أن عهد بها إلى ابنه من بعده .. وأول من طبق الوراثة فى الخلافة الإسلامية .

---

٧ ينقسم البربر في منطقة تونس ــ بحسب مسكنهم ــ إلى قسمين : حضر يزرعون الارض ويعيشون مستقرين قرب الساحل وعلى سفوح الجبال الخصبة . واشتهروا باسم " البرانس " . وبدو يرعون قطعانهم من الماشية فى الصحاري . وعرفوا باسم " البتر " .

ويقول ابن كثير : [لقد اشتهر ــ أمير المؤمنين !!! ــ **يزيد بن معاوية** بالمعازف وشرب الخمور ، والغناء والصيد واتخاذ القيان (المغنيات الراقصات) والكلاب ، والنطاح بين الأكباش والدباب والقرود ، وما من يوم إلا ويصبح فيه مخمورا . وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويلبس القرد قلانس الذهب وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه وقيل إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته] [٨] .

ولو كان **معاوية** يتذرع بالدين في مناسبات تدعو السياسة إليها ، إلا إن **ولده يزيد** جاهر بالفسق والفجور واستهزأ بالدين على رؤوس الأشهاد حتى قال غير متوجل ولا متأثم :

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل

وبالرغم من أن **يزيد** لم يحكم إلا فترة قصيرة ظهرت منه ثلاثة أحداث يقشعر منها جلد كل مؤمن يدين بالله تعالى : فقد قتل الحسين عليه السلام ، وضرب الكعبة بالمنجنيق ، وأحل دم ومال وعرض أهل المدينة في **موقعة الحَرَّة** (سنة ٦٣ هـ) ، وهذا لا يعني سوى عدائه الشديد للدين ومحاولة قلع الاسلام من جذوره .

فما كاد " **يزيد** " يتسلم زمام الحكم حتى واجه المسلمين الذين يمتنعون عن مبايعته ، التي لبثت معارضتهم لبيعته أن تحولت إلى ثورة مسلحة . فقد قامت ضده ثلاث ثورات ، ترجع دوافعها إلى رفض " **مبدأ الوراثة** " في بني أمية . فقد خشي بعض المسلمين بأن تكون الخلافة ملكا يتوارث .. فأرسل أهل الكوفة ــ في العراق ــ إلى الحسين (ابن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما) يطلبون منه الحضور إليهم لمبايعته بالخلافة فهو أحق بها من يزيد . فأرسل

---

٨ تموج سيرة يزيد بن معاوية بالكثير من الفسق .. فعندما حج معاوية وحاول أن يأخذ البيعة لابنه " يزيد " من أهل مكة والمدينة .. أبى عبد الله بن عمر . وقال : نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق .. ما حجتنا عند الله ؟ وقال ابن الزبير : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فقد أفسد علينا يزيد ديننا) . ويروى ابن قتيبة أن الحسين قال لمعاوية : (قد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه . فخذ ليزيد في ما أخذ من استفرائه الكلاب المهارش عند التحارش ، والحمام السبق لاترابهن ، والقينات ذوات المعازف (الراقصات) ، وضروب الملاهي . تجده ناصرا ، ودع عنك ما تحاول) . ويقول البلاذري : (كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالدين ، والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعافرة بالكلاب والديكة) . فهذه هي شهادة التاريخ عن سيرة : " أمير المؤمنين .. يزيد بن معاوية التي كانت تزخر بالكثير من الموبقات " ..!!!

لهم الحسين ابن عمه " **مسلم بن عقيل** " ليستوثق منهم فقتله والي الكوفة **عبيد الله بن زياد** .. الذي عينه يزيد بن معاوية للقضاء على فتنة الحسين بن عليّ .

وفي أثناء ذلك ؛ كان الحسين (ومعه ثمانون من أهل بيته) في طريقه إلى العراق ، فلما علم بمقتل " **مسلم بن عقيل** " آثر الرجوع إلى مكة . ولكن أخوة " **مسلم بن عقيل** " أصروا على القصاص لأخيهم . فواصل الحسين السير إلى العراق .. حيث تفاقمت الأمور إلى أن انتهت بمذبحة " **كربلاء** " التي قتل فيها الحسين وعشرات من أهل البيت الأطهار .. بعد أن خذلهم أهـــل العراق في مواجهة جيش **عبيد الله بن زياد** ، **الذي قتل يومها اثنين وسبعين من أهل بيت** رسول الله (ﷺ) وذلك في يـــوم الجمعة العاشر من المحرم سنة (٦١ هـــ / ٦٨١ م) أي بعد أقل من خمسين سنة موت رسول الله (ﷺ) . وبذلك تخلص يزيد من أحد منافسيه الأقوياء ، وبقى **عبد الله بن الزبير** (ابن الصحابي الجليل الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبي بكر) كمنافس قوي ليزيد . ولجأ الزبير إلى مكة ليحتمي بها .

أعد " **يزيد** " ــ بعد ذلك ــ جيشًا ضخمًا من جند الشام ، وأسند قيادته إلى **مسلم بن عقبة** ليقضي على عبد الله بن الزبير في مكة والثائرين معه . ولما علم أهل المدينة بمقدم جيش " **يزيد** " خرجوا إليه بقيادة **عبد الله بن حنظلة** ، والتحموا معه في معركة شديدة انتهت بهزيمة أهل المدينة في **موقعة** " الحَرَّة " سنة ٦٣ من الهجرة . وكانت أوامر يزيد لمسلم بن عقبة [٩] : " باستباحة المدينة ثلاثة أيام عقب الاستيلاء عليها ، فقيل أنه قتل فيها أربعة آلاف وخمسمائة ، وأنه قد فضت فيها بكارة ألف بكر " ، وفي رواية ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ٨ ص٢٥٦) أن ألف إمرأة بعد هذه الجرائم ولدت بغير زوج ..!!!

ويصل الخبر إلى يزيد فأنشد يقول [١٠] :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها * واستمر القتل في عبد الأشل

[الأسل : الرماح / الأشل : المشلول الذي بطلت حركته]

---

٩ الكامل لابن الأثير ج ٥ ــ ص ٣١٠-٣١٤ . دار الكتاب العربي ببيروت . ابن الطبري ج ٤ ص ٣٧٤-٣٨١ . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت .

١٠ الأخبار الطوال للدينوري ؛ ص ٢٦٧ . دار المسيرة ــ بيروت .

أي أن " **أمير المؤمنين يزيد بن معاوية** " ..!!! كان يتمنى لو أن أجداده من مشركي مكة على قيد الحياة ، حتى يروا كيف انتقم لهم من الأنصار (لاحظ : الخزرج هي أكبر قبائل الأنصار) في المدينة والتي كانت تقف إلى جانب الرسول (ﷺ) في موقعة بدر ..!!!

وبعد أن تم النصر لمسلم بن عقبة على أهل المدينة طلب من أهلها أن يبايعوا يزيد على أنهم " **عبيد** " له ، يفعل فيهم وفي أموالهم وفي أولادهم ما يشاء ، محذرًا من عاقبة المخالفة بعد أن رأوا بأعينهم ما حل بهم ..!!!

ثم سار **مسلم بن عقبة** بمن معه من الجند إلى البيت الحرام بمكة ؛ حيث يعتصم عبد الله ابن الزبير ، لكن القدر لم يمهله ، فتوفاه الله قبل أن يصل إلى مكة . فتولى قيادة الجيش من بعده : " **الحصين بن نمير السكوني** " الأموي ، الذي واصل المسير إلى مكة المكرمة ، وحاصرها لمدة شهرين . وضرب **الحصين** الكعبة بالمنجنيق حتى انهدم معظم أجزائها .. ولم يكتف بهذا بل وضع المحاصرون نارا على رمح ورموا به الكعبة فاحترقت ..!!!

لم يعمر **يزيد بن معاوية** في الخلافة كثيرا فقد توفي في " جوارين " من أرض حمص في شهر ربيع الأول سنة (٦٤ هـ / ٦٨٤ م.) وهو في الثامنة والثلاثين من عمره .. **أي بعد أقل من أربع سنوات فقط من توليه الخلافة** ..!!! ويأتي خبر وفاة " يزيد " إلى " الحصين بن نمير " فيوقف القتال ويرفع الحصار عن مكة ، ويعود بالجيش الأموى إلى الشام ، ويخرج ابن الزبير على الناس فتذعن له جزيرة العرب كلها ، ويبايعه كثير من أنصار الدولة الأموية وسط هذه العواصف خليفة للمسلمين .

وبالرغم من الصراعات الشديدة التى حدثت على السلطة فى عهد يزيد ، إلا إن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف ، واستمرت فى العديد من الجهات . ففى الشرق واصلت الجيوش الإسلامية فتوحاتها فى خراسان وسجستان تحت قيادة مسلم بن زياد ، فغزا سمرقند وجُجَنْدة .

أما فى الغرب فقد أعاد يزيد بن معاوية ، **عقبة بن نافع** واليًا على إفريقية (تونس) ، وكان **معاوية** قد عزله عنها ، فواصل عقبة بن نافع فتوحاته بحماس منقطع النظير وقال : إنى قد بعت نفسى لله (ﷻ) ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله . ففتح مدينة " باغاية " فى أقصى إفريقية ، وهى مدينة بالمغرب ، وهزم الروم والبربر مرات عديدة ، ثم واصل المسير إلى بلاد الزاب ، فافتتح مدينة " أربة " وافتتح " تاهَرْت " و" طَنْجة " و" السُّوس الأدنى " ، ثم صار إلى

بلاد السوس الأقصى ، واستمر في فتوحاته حتى بلغ " مليان " ، ووصل إلى ساحل المحيط الأطلنطي ، فوقف " عقبة ابن نافع " عنده .. **وأدخل فرسه فى المحيط وراح يرفع رأسه فى عزة المؤمن ، وتواضع المعترف بفضل الله عليه وقال مقالته التى حفظها له التاريخ : " اللهم فاشهد أنى لو كنتُ أعلم وراء هذا البحر أرضًا لخضته غازيًا فى سبيلك " . ثم عاد راجعًا إلى القيروان .**

• خلافة مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ/ ٦٨٣- ٦٨٤م) ..

عقب موت يزيد بن معاوية اجتمعت بنو أمية على **مروان بن الحكم** .. على أن يخلفه : " خالد بن يزيد بن معاوية " ثم " سعيد بن العاص " من بعده . غير أن "مروان بن الحكم " نقض ذلك العهد وعهد بالخلافة لابنه "عبد الملك " ومن بعده ابنه " عبد العزيز" ..!!! وعقب تسلم مروان الخلافة انقسم عرب الشام إلى فريقين : فالعرب اليمانية راحوا وحدهم يؤيدون مروان ، أما العرب القيسية ، وعلى رأسهم **الضحاك بن قيس** ، فقد راحوا يؤيدون **عبدالله بن الزبير** .

ويجمع مروان بن الحكم أنصاره ، وسار أولا إلى الضحاك ، واقتتل الفريقان بـــ "مرج راهط " بغوطة دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة ٦٥هـ ، وانتصر مروان على الضحاك ودخل دمشق بعد أن قضى على الفتنة . ثم توجه بعد ذلك إلى مصر على رأس جيش قوى ودخلها سنة ٦٥هـ/٦٨٥م وكان عليها عبد الرحمن بن جحدم القرشى عاملا لابن الزبير وولى ابنه عبدالعزيز بن مروان على مصر ، وبهذا عادت مصر للأمويين مرة أخرى بعد انفصال دام تسعة أشهر تحت قيادة أنصار عبد الله بن الزبير . **وبقى الحجاز والعراق فى يد ابن الزبير بعد أن دانت الشام ومصر للأمويين .**

وأعد مروان بن الحكم ــ بعد ذلك ــ جيشين : أحدهما سيره إلى الحجاز للقضاء على عبد الله ابن الزبير أما الجيش الآخر فقد سيره إلى العراق للقضاء على **مصعب بن الزبير شقيق عبد الله ووالية هناك** ويشاء الله أن تحل الهزيمة بجيش الحجاز ، وألا يقوم جيش العراق بشىء يذكر فى حياة مروان الذى عاجلته المنية سنة ٦٥هـ بعد أن عهد بالخلافة لابنيه عبد الملك ، ثم عبد العزيز .

• خلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم (٦٥ - ٨٦ هـ/ ٦٨٤- ٧٠٥م)

باتت الدولة الإسلامية الموحدة تتقاسمها خلافتان : **الأولى** : عليها **عبد الله بن الزبير** وتضم الحجاز والعراق . **أما الثانية** : فيتولاها **عبد الملك بن مروان** الذى تولى عقب وفاة أبيه مروان بن عبد الحكم ، ولم تعد تضم إلا الشام ومصر .

ويذكر التاريخ أن جد عبد الملك بن مروان ، وهو الحكم بن العاص ، كان طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه ، فمال أكثر أهل الشام لابن الزبير ، فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا فبنى لهم القبة على الصخرة (**مسجد قبة الصخرة**) ، كما قام بتجديد المسجد الأقصى ليصرفهم عن الحج والعمرة ، فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم ، وصار أخوه عبد العزيز بن مروان أمير مصر ، يقف بالناس (على الصخرة) يوم عـرفة كما لو كانوا في الحج ..!!!

وفى سنة ٧٠هـ /٦٩٠م خرج **عبد الملك بن مروان** إلى العراق لأخذها من الزبيريين ، وتدور بينه وبين " **مصعب بن الزبير** " عدة معارك طاحنة حتى تمكن أخيرا " من القضاء على "مصعب " وقتله فى معركة " دير الجاثليق " وكان ذلك سنة ٧١هـ/٦٩١م (وقيل سنة ٧٢هـ/٦٩٢م .) وبعدها دخل " الكوفة " معقل الزبيريين ، وأخذ البيعة من أهلها لنفسه بالقوة ، وولّى ولاة من قبله على العراق .

لم يبق لعبد الله بن الزبير إلا الحجاز يسيطر عليها من مكة . فأمر عبد الملك بن مروان " **الحجاج بن يوسف الثقفي** " [١١] الذى كان يتخذ من الطائف مسقط رأسه قاعدة لعملياته الحربية أن يتصدى لعبد الله بن الزبير المتحصن في مكة المكرمة .

وتحرك جيش الحجاج من الطائف إلى مكة فحاصرها كما فعل " الحصين بن نمير السكوني " من قبل ، وقذف الحجاج الكعبة بالمنجنيق فهدم أجزاء منها ، وظل يضيق على **عبد الله ابن الزبير** وأنصاره الخناق حتى تفرق عنه معظم أنصاره لكن ظل ابن الزبير يقاوم رافضًا أن

---

١١ هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي (٤٠ ــ ٩٥ هـ) ، ولد في الطائف ثم انتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع ، نائب عبد الملك بن مروان فكان من رجال شرطته ، ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره وقتال عبد الله ابن الزبير (٦٢٢ - ٦٩٢ م.) . كان خطيبا فصيحا ، وكان سفاحا جبارا ، وهو الذي ثبت ملك بني أمية في العراق . قيل إنه عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على أحد منهم قتل ولا صلب ، هذا غير قتله لأكثر من (٣٠٠,٠٠٠) عراقي خلال مدة حكمه للعراق والتي دامت ٢٠ سنة .

يستسلم حتى قتل سنة ٧٣هـ/ ٦٩٣م ، وكانت خلافته تسع سنين . وبمقتل ابن الزبير دخلت الحجاز من جديد تحت حكم بنى أمية ، وكوفئ الحجاج بأن ظل واليًا على الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان حتي سنة ٧٥هـ/ ٦٩٥م .

لم تهدأ الأمور بعد كل هذا .. بل توالت الثورات والفتن من جهة العراق على الحكم الأموي كانت إحـداها بقيادة " **عبد الرحمن بن الأشعث** " . فيصدر الخليفة الأموى " عبد الملك ابن مروان " الأمر ــ مرة أخرى ــ بأن يتولى " الحجاج بن يوسف الثقفي " أمر العراق والمشرق الإسلامى ، ويسير إليها فى جيش من أهل الشام . وتدور معارك شرسة مثل معركة " **دير الجماجم** " **بين الجيش الأموى وبين جيش ابن الأشعث** ، يتبادل فيها الفريقان النصر والهزيمة وتستمر سجالا بينهما في أكثر من ثمانين موقعة ، تدور الدائرة بعدها على ابن الأشعث ، فيهرب إلى بلاد الهند . ولكن الحجاج يرسل من يلاحقه ويتابعه حتى يأتى إليه برأسه فى الكوفة . وهكذا استطاع الحجاج إخضاع بلاد العراق وما والاها من بلاد المشرق لسلطان عبد الملك بن مروان ، وبهذا توطدت دعائم الدولة الأموية مرة أخرى فى عهده .

وهكذا ؛ تدور الأحداث .. القاعدة تنشغل بالجهاد ونشر الإسلام .. والقمة تنشغل بتوطيد ملكها وسلطانها على الدولة الإسلامية ضاربة عرض الحائط بمبدأ " **الشورى في الإسلام ، والبيعة في اختيار الأنسب لقيادة الدولة الإسلامية** " .

وعلى سبيل المثال ؛ فقد دخل الإسلام **تركستان الشرقية** (**إقليم سينكيانج الصيني** ، في الوقت الحاضر ، وهو أكبر الأقاليم الصينية وأغناها ، أنظر الملحق الرابع) على يد القائد الإسلامي المجاهد " **قتيبة بن مسلم الباهلي** " عام (٨٨ - ٩٦هـ) ، ومن بعده بدأت ثمار الاتصال الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى ، فتحول التركستانيون للإسلام تحت قيادة زعيمهم " ستوف بجراخان " خاقان الإمبراطورية القراخانية عام (٣٢٣هـ = ٩٤٣ م) ، وقد أسلم مع هذا القائد أكثر من مائتي ألف "خيمة " (عائلة) ، أي ما يقارب مليون نسمة تقريبًا . وما زال سكان هذا الإقليم الصيني من المسلمين ، ولكنهم يعانون من الاضطهاد البالغ من الحكومة الصينية ، خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، تحت زعم مقاومة الإرهاب ..!!!

ويتتابع الخلفاء الأمويون على خلافة الدولة الإسلامية على النحو المبين في الجدول التالي . وأخيرا ؛ لا ننكر فضل بعض الخلفاء في ترسيخ العدل والحكم الإسلامي كما حدث في عهد الخليفة الأموي الثامن .. عمر بن عبد العزيز ..

جدول يبين سلسلة الخلفاء الأمويين وفترة حكمهم

مسلسل	الخليفة	فترة الحكم
١	معاوية بن أبي سفيان	٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م
٢	يزيد الأول بن معاوية	٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م
٣	**معاوية الثاني بن يزيد** (حكم ٤٠ يوما / تنازل لمروان بن الحكم)	٦٤هـ/٦٨٣-٦٨٤م
٤	مروان بن الحكم	٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م
٥	**عبد الملك بن مروان**	**٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م**
٦	الوليد الأول بن عبد الملك	٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م
٧	سليمان بن عبد الملك	٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م
٨	**عمر بن عبد العزيز**	**٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠**
٩	يزيد الثاني بن عبد الملك	١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م
١٠	**هشام بن عبد الملك**	١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م
١١	الوليد الثاني بن يزيد الثاني (قتل)	١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م
١٢	يزيد الثالث بن الوليد الأول	١٢٦-١٢٦هـ/٧٤٤م
١٣	إبراهيم بن الوليد الأول (قتل)	١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٤م
١٤	مروان الثاني بن محمد (قتل) لقب بالحمار ، قيل لصبره على مكاره الحروب ، وقيل أن العرب تسمي كل من جاء على رأس المائة عام حمارا	١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م

- **خلافة عمر بن عبد العزيز ..**

عهد **عبد الملك بن مروان بن الحكم** بالخلافة من بعده إلى أبنائه : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام . وقد توسط **عمر بن عبد العزيز** بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان . وهكذا ؛ تولى **عمر بن عبد العزيز** (**ابن مروان**) (أنظر الجدول السابق) الخلافة سنة ٩٩ هـ .. وكانت مدة خلافته سنتين ونصف .. حيث تفرغ لإقامة الحق والعدل وإشاعة الخير والسلام فى ربوع البلاد الإسلامية ، فراح يرفع المظالم عن الناس ، ويعمل على إنصاف كل من ظلم فى عهود سابقيه من بنى أمية ، وتعويض كل من حرم ، ويعيد عهد جده " عمر بن الخطاب "

الخليفة العادل الذى ملأ الدنيا عدلا ، وراح يتشبه به فى زهده ، وتقشفه ، وإيمانه بالله وتمسكه بكتابه ، وسنة رسوله . ولهذا يعتبره كثير من المؤرخين الخليفة الراشد الخامس . ومات عمر ابن عبد العزيز عام ١٠١ هـ (٧٢٠ م) .. عن خلافة أقل من ثلاث سنوات ..

- **سقوط الدولة الأموية ..**

وتمضي السنين وتتتابع الخلافة (أنظر الجدول السابق) حتى نصل إلى خلافة " **هشام بن عبد الملك** " الذي خلف من بعده أربعة من الخلفاء الأمويين الضعاف ، فراحت الدولة الأموية تتهاوى حتى سقطت سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م . وقد كان ظهور العباسيين فى هذه الفترة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموى عن عرش الخلافة الإسلامية .

فبعد وفاة الخليفة " هشام بن عبد الملك " بويع ابن أخيه " **الوليد بن يزيد** " بالخلافة فى ٦ من ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/ ٧٢٣م (أنظر جدول سلسلة الخلفاء الأمويين) ، **وكان** " **الوليد ابن يزيد** " **يمثل النموذج السيء لنظام وراثة الخلافة** . فكما سبق وأن بينا أن النظام الإسلامي في الشورى يتيح للجميع وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب حتى يستريح ويريح . ولكن " نظام الوراثة " يأتى لدولة الإسلام بنماذج مثل " الوليد " الذى أشاع عنه خصومه أنه كان منهمكًا فى الملذات ، مستخفا بأمر الأمة مشغولا باللهو ، مجاهرًا بالمعاصى (اشتهر بالمجون ، والشراب ، واللواط ، ورشق المصحف بالسهام ..!!!) . ولهذا اجتمع بعض أهل " دمشق " على خلعه وقتله لمجاهرته بالإثم ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م ، بعد أن قضى فى الخلافة سنة واحدة وشهرين وأيامًا ، وكان الذى يقود الثورة عليه ابن عمه " **يزيد بن الوليد** " الذى وصفه أنصاره بأنه كان ورعًا تقيًا محافظًا على الدين راعيًا للإسلام والمسلمين ، لكنه لم يَبْقَ فى الحكم إلا خمسة أشهر وعدة أيام حيث مات بالطاعون .

وبايع المسلمون من بعده أخاه " ابراهيم بن الوليد " خلفا له ، لكنه لم يكد يتولى الأمر حتى سار إليه **مروان بن محمد بن مروان بن الحكم** ثائرًا للوليد بن يزيد وخلعه .. وهرب إبراهيم من دمشق وظل أتباع مروان يلاحقونه حتى عثروا عليه وقتلوه ، بعد أن لبث فى الخلافة سبعين يومًا وقيل ثلاثة أشهر . وتولى الخلافة من بعد إبراهيم : " **مروان بن محمد** " فى صفر سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م ، ليشهد عهدًا من الفتن والاضطرابات .

وقد سجل التاريخ (٤٦) ثورة في عهد الخلافة الأموية منها (٢١) ثورة قام بها الخوارج ، و(٨) ثورات قام بها العلويون ، و(١٧) ثورة قام بها المناهضون للحكم الأموي .

وفي أثناء فترة حكم الأمويين ؛ خطط العباسيون (بنو هاشم) للاستيلاء على الخلافة من الأمويين واتخذوا من الكوفة بالعراق مقرا سريا لتنفيذ خططهم .. حتى كانت ليلة الخميس الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٢٩ هـ (٧٤٧ م) ظهر العباسيون براياتهم السوداء وأعلنوا الثورة على الدولة الأموية . وانطلقت الجيوش العباسية بقيادة **أبو مسلم الخراساني** **وقحطبة بن شبيب** تزحف على ولايات الدولة الأموية وتستولي عليها .. واندفعت لتلاقي **محمد ابن مروان** آخر خلفاء بني أمية في " **معركة الزاب** " (بين الموصل وأربيل في العراق) سنة ٧٤٩م ، وفيها خسر محمد بن مروان الحرب ، وفر إلى مصر فلحقه العباسيون وقتلوه عند بلـــدة بوصير (مدينة بالقرب من مدينة الفيوم في جمهورية مصر) ، وحملوا رأسه إلى أبي العباس عبد الله بن محمد (والملقب بالسفاح) .. أول خلفاء بني العباس ..!!!

وهكذا ؛ انتهت الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) بمقتل **مروان بن محمد** **(الملقب بالحمار)** آخر خلفاء الدولة الأموية .. والتي استمرت قرابة ٩٢ عاما .. لتنمو وتزدهر على أرضها الدولة العباسية التي بدأت بمؤسسها **أبـي العباس عبد الله بن محمد** ' **والمعروف باسم " السفاح "** (لأنه أمر بقتل جميع أفراد الأسرة الأموية) واتخذ من الكوفة بالعراق مقرا له ومات " **السفاح** " **بعد تولي الخلافة .. وعمره ٣٢ سنة** ..!!!

* * * * * * * * * * * *